أصول الفلسفة اليونانية بين الإبداع والتثاقف مع الحضارة المصرية القديمة

The Origins of Greek Philosophy, Creativity and Acculturation with the Ancient Egyptian Civilization

جمال الدين بن سليمان[1]

[1] جامعة محمد خيضر، بسكرة، الجزائر djameleddine.bensliman@univ-biskra.dz

تاريخ الاستلام: 2023/10/15 تاريخ القبول: 2024/05/23 تاريخ النشر: 2024/05/31

ملخص

انطلاقا من فحص محتوى المادة العلمية التي يتم تقديمها في عروض التكوين في الإطار الأكاديمي حول موضوع أصالة الفلسفة اليونانية، نجدها تدعم تماما فكرة المعجزة الإغريقية في عملية التفلسف شكلا ومضمونا، وبذلك تكون قد أنهت إمكانية وجود موقف آخر يحدد معلما تاريخيا مغايرا يجعل من الفلسفة اليونانية مساهمة متميزة قامت على بنى معرفية فكرية أصلها الحضارات الشرقية السابقة، لاسيما المصرية التي كانت الأكثر احتكاكا بها إن لم نقل أن الأولى نشأت في أحضان الثانية، بإقرار الإغريقيين الأوائل والكثير من الفلاسفة المعاصرين الدارسين للموضوع من زوايا مختلفة. وعليه يسعى هذا المقال لتبيان الطرح العلمي للموقف الثاني الذي تنوعت أدلته في ذلك بين تاريخية، وأنثروبولوجية وأركيولوجية ولسانية، بأن له حججا علمية قوية تستدعي إعادة النظر في تاريخ الفلسفة اليونانية لاسيما ما يتم تلقينه في محتويات المادة الأكاديمية، ومحاولة إنصاف كل الرؤى المؤسسة على دعائم علمية وتاريخية والبحث في الموضوع بجدية أكبر.

كلمات مفتاحية: الفلسفة اليونانية؛ تاريخ التفكير الفلسفي؛ الفكر المصري القديم؛ أصل الفلسفة.

Abstract

Based on examining the content of the scientific material that is presented in the academic framework about the originality of Greek philosophy, we find that it fully supports the idea of the Greek miracle of philosophy, in its form and content. This have ended any possibility to another view of a different historical landmark that makes Greek philosophy a distinguished contribution founded on the body knowledge originated from the previous Eastern civilizations, especially the Egyptian one, which were most in contact, as claimed by early Greeks and many contemporary philosophers that have studies this topic from different approaches. Accordingly, this paper seeks to reassess the second standpoint, Because of its historical, anthropological, archaeological, and linguistic evidences, and to prove that these strong scientific arguments require a reconsideration of the history of Greek philosophy, especially with regard to what is taught academically, as well to give chance to all points of view particularly those based on scientific and historical foundations by stimulating research on the subject more seriously.

Keywords: Greek philosophy; History of philosophical thinking; Ancient Egyptian thought; The origin of philosophy.

المؤلف المرسل: جمال الدين بن سليمان، **الإيميل:** djameleddine.bensliman@univ-biskra.dz

1. مقدمة

انطلاقا من فحص المادة العلمية التي يتم تقديمها في عروض التكوين في الإطار الأكاديمي حول موضوع الفلسفة اليونانية، نجدها تدعم فكرة المعجزة الإغريقية في عملية التفلسف شكلا ومضمونا، وبذلك تكون قد أنهت هنا أي إمكانية للتساؤل حول تحديد معلم تاريخي مغاير، أي يجعل من الفلسفة اليونانية مساهمة متميزة قامت على بنى معرفية فكرية أصلها الحضارات الشرقية السابقة لها، لاسيما المصرية التي كانت الأكثر احتكاكا بها إن لم نقل أن الأولى نشأت في أحضان الثانية، ما يتبناه الإغريقيون الأوائل والكثير من الفلاسفة المعاصرين الدارسين للموضوع من زوايا مختلفة.

ومن جهة أخرى فإنه بقدر ما أثاره الموضوع من زخم وتراشق بالدراسات الأكاديمية والبحث الأنثروبولوجي واللساني في أوساط الفكر الغربي، فإنه لا يكاد يحرك ساكنا تقريبا على الصعيد العربي، ولا أقصد هنا الكتب المؤرخة للفلسفة اليونانية والتي كما قلنا تتبنى موقفا واحدا وهو التسليم بالمعجزة اليونانية، ولكن قلة تلك التي طرحت فكرة الأصول المصرية للفلسفة اليونانية بالدراسة والبحث مثل:

-حسن طلب، أصل الفلسفة: حول نشأة الفلسفة في مصر القديمة وتهافت نظرية المعجزة اليونانية، عين للدارسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، 2003.

-شرف الدين عبد الحميد أمين، الإسهام الحضاري لمصر القديمة في الفلسفة اليونانية.

إن الغاية الأساسية من هذا المقال هي محاولة تثمين هذا الموقف للقارئ العربي ليتناوله بجدية أكثر، فمن منطلق أن الأوائل الذين دافعوا عن أطروحة أن الفلسفة اليونانية ضاربة الجذور في الفكر الفلسفي المصري القديم، وألّفوا في ذلك دراسات هائلة كما وكيفا، ولا يمتّون بصلة إلى الحضارة المصرية ولا إلى القارة الإفريقية، مما يستدعي ضرورة النظر في الموضوع الذي يستمد أهميته مما يحققه من أثر في الساحة الأكاديمية، لما فيه من جدّة وقراءات معاصرة تقول بالأصول المصرية للفلسفة اليونانية، ودون نقاش علوم مثل الطب والرياضيات، حيث تنوعت الأدلة في ذلك بين تاريخية، وأنثروبولوجية وأركيولوجية ولسانية؛ وتعزو بداية الفلسفة إلى ما قبل الإغريق القدماء.

فمن الشائع جدًا في كتب تاريخ الفكر الفلسفي تقريبًا، أن عملية التفلسف قد بدأت في أولها مع الإغريق القدماء، وبخاصة عندما يتعلق الأمر بالتأصيل التاريخي لكلمة "الفلسفة" في حد ذاتها، والتي من المفترض أنها تأتي من الأصل اليوناني "**philo-sophia**" أي حب الحكمة. ولكن بالنظر في عمق تاريخ التفكير الفلسفي بمسعى أبعد من ذلك، نجد هناك الكثير مما يجب مناقشته حول هذا العزو القصري أو النسبة الحصرية للتفلسف على اليونانيين القدماء، إذا ما قارناه بما هو موجود من تقليد في تاريخ الفكر الفلسفي على المستوى الأكاديمي والبحثي، بل وعلى المستوى التربوي والتكوين القاعدي، فقلّما يذكر

المتدارسون في جميع المستويات أن بدايات التفلسف يمكن أن تكون سابقة على الحضارة اليونانية أو حتى يلمحون إلى إمكانية استعانتها بفكر فلسفي سابق لتؤسس نظامها الفلسفي. لهذا فنحن في هذا المقال سنركز على أن الفلسفة اليونانية مع تفرّدها وتميزها إلا أنها تكونت بداية في حضن الحضارة المصرية أو الفرعونية القديمة، بل إن الكثير من فلاسفة اليونان درسوا ونهلوا من قداس الفراعنة إن لم نقل نشؤوا في دُورِها. وعليه فكيف وظّف أصحاب هذا الطرح الحديث للحجج التاريخية والأنثروبولوجية والألسنية لخلق هذا الجدل بالنسبة لتاريخ الفكر الفلسفي؟

2. المصادر التي تؤكد اقتباس اليونان من الحضارة المصرية القديمة:

مع النصف الثاني من القرن العشرين بدأ زمرة من الفلاسفة والدارسين لتاريخ الفلسفة بالنظر في أصول الفلسفة اليونانية. وفي هذا الصدد ورد في موسوعة روتلدج للفلسفة سنة 1998، مقال بعنوان "الفلسفة المصرية: التأثير على الفكر الإغريقي القديم"، وتناولت مقدمته أمثلة من المساهمات والدراسات في الموضوع؛ فمن أهم المؤرخين والأكثر تأثيرا في دفاعه عن هذا الموقف هو ماركوس غارفي **Marcus Garvey (1887– 1940)** مصرحا أن الأوروبيين البيض لطالما عملوا على إخفاء الحقيقة حول أسبقية الثقافة المصرية (أو الأفريقية) بسبب عداوتهم تجاه ذوي البشرة السمراء. ويدعم مارتن برنال **Martin Gardiner Bernal (1937– 2013)** هذا في دراسته "أثينا السوداء" "**Black Athena**" (1987)، بينما في كتابه الأكثر حجاجا بعنوان "الحضارة أو البربرية: الأنثروبولوجيا الأصيلة" (**Civilization or Barbarism: an Authentic Anthropology**، 1981)، يطمح ديوب **Diop** إلى الكشف عن أن إفريقيا وبخاصة الحضارة المصرية القديمة قد أثرت بشكل كبير على الفكر الغربي. أما **G. M. James** فتميزت دراسته بالقوة والحجة والاستفزاز، حيث عنونها ب: "الميراث المسروق" **(Stolen Legacy (1954**، ومن ثم تبعه طالبه **Y.A.A. Ben–Jochannan** على نفس المنوال كان عنوان مؤلفه "إفريقيا، أُمّ الحضارة الغربية" **Africa, Mother of Western Civilization (1971)**، وقد أكد فيه على أن أرسطو قد أخذ كتبا من مكتبة الإسكندرية، وإن لم يذكر أحد من قدماء الإغريق أنه قد زار مصر مع الإسكندر، لأن هناك تأكيدات للمصريين الهيلينيين واليهود تشير إلى أن اليونان قد أخذوا جلّ أفكارهم الفلسفية من أسلافهم. ناهيك على أن علوم الطب والطبيعة والرياضيات قد تأسست بشكل هائل من المعرفة المصرية على الأقل من نصف الألفية الثانية قبل الميلاد وحتى إعادة توثيق الإغريق الاتصال بالمصريين في القرن السادس قبل الميلاد. **(Lefkowitz**، 1998)

وعليه يذكر لونج **Long** (2006) أن اليونانيين أنفسهم كانوا على دراية بحداثتهم زمنيا مقارنة بالحضارات القديمة في مصر وآسيا، وبمرجعية الرياضيات الأولى وعلم الفلك لمصر وبابل، وبأنه لم يكونوا القدامى الوحيدين الذين بدؤوا ممارسة الفلسفة وقد عبر أرسطو عن ذلك بمهارة بقوله:

"إن تقصي الحقيقة صعب من جهة أولى، ومن ثانية هو سهل، ويمكن التدليل على هذا الكلام بحقيقة أنه لا أحد قادر على الوصول إلى الحقيقة بشكل كاف، بينما، من ناحية أخرى، لا يفشل أحد تمامًا، ولكن الجميع يقول شيئًا ما صحيحا حول طبيعة الأشياء، وفي أثناء ذلك هم بشكل فردي يساهمون بشيء قليل أو ربما لا شيء نحو الحقيقة، بينما اتحاد الجميع يؤدي إلى قدر معتبر نحو الحقيقة." (في **Long**، 2006، 16)

يعترف أرسطو هنا بعدم امتلاك حضارة أو أمة واحدة للحقيقة أو للمعرفة التامة بشي ما بل إن المعرفة تكتمل دوما على الوجه الذي هي عليه باجتماع العقول وتظافر الجهود بتجاوز حضارة معينة.

ومن الناحية التاريخية يرى **Rutherford** (2016 **a**) أنّنا إذا فكرنا في اليونان القديمة على أنها "قديمة"، فمن المعروف أنه يمكن إرجاعها إلى الثقافة الميسينية **Mycenaean** في النصف الثاني من الألفية الثانية قبل الميلاد، ومقارنة بذلك فالحضارة المصرية أقدم من ذلك بكثير، نظرًا لأنها تعود إلى منتصف الألفية الثانية قبل الميلاد، وازدهرت في ما يسمى ("المملكة الجديدة") ، على الرغم من أن أصولها تعود إلى الألفية الثالثة قبل الميلاد أو حتى قبل ذلك.

ويقول **Long** (2006) أن أحد عوامل تطور اليونان القديمة هو التجارة والتواصل مع الحضارات القديمة في مصر وآسيا، ويؤكد **Rutherford** (2016 **a**) أن هذا الاتصال قد تم بالفعل في الألفية الثانية قبل الميلاد؛ فقد أصبح الوضع أكثر وضوحًا من حوالي 600 قبل الميلاد، عندما كان البحّارة الإغريق يزورون مصر بشكل متكرر، إما للتجارة في نوكراتيس **Naucratis** أو للخدمات العسكرية.

ويرى **Rutherford** (2016 **b**) أن البداية الرسمية للاتصال بين اليونان ومصر عادة ما يؤرخ لها خلال القرنين السابع والسادس قبل الميلاد، عندما خدم المرتزقة الأيونيون الجيش المصري وتمّ الاحتفال بإنشاء ميناء التجارة؛ ناهيك ارتباط اليونان ومصر بعلاقات الأجداد، ولاسيما السلالة الملكية **Argive**، الذي قدم من مصر (في شخص داناوس **Danaos** وبناته)، وبعد عدة أجيال هاجر إلى الضفة الأخرى. ويضيف **Rutherford** (2016 **a**) بأن الثقافة المصرية تركت تأثيرًا كبيرا على المثقفين اليونانيين بحلول القرنين الخامس والرابع، نظرًا لأنهم أعجبوا بعراقتها، ولطالما اعتقدوا أنها مصدر للمعرفة والحكمة الباطنية، كما اعتبروا –لاسيما المؤرخ هيرودوت– أن الدين اليوناني يتم جلبه في الغالب من مصر. وقد اتفق العديد من العلماء حسب **Rutherford** –خصوصا بعد فك الرموز الكتابة الإغريقية– على التأثير المصري الذي يمكن رؤيته في النحت والطب اليوناني المبكر. (**Rutherford**: 2016 **b**، ص2،3)

إن تأكيد **Rutherford** (2016 **b**) الأكثر تميزًا والذي يخدم أهداف المقال هنا بحق، هو أن الخطاب اليوناني حول مصر يظهر في أواخر القرن السادس قبل الميلاد، مما أثر على الطريقة التي كتب

بها اليونانيون والرومان عن مصر قرونا عديدة؛ حيث تمّ جمع هذه النصوص بشكل ملائم في هوبفنر **Hopfner** (1924). وإن المعنى الجوهري لهذا الادعاء هو الكتاب الثاني لمؤلف هيرودوت في التاريخ ***Histories*** الذي كانت موضوعاته الرئيسية هي الجغرافيا الثقافية، وخاصة فيما يتعلق بنهر النيل، والأدب الكلاسيكي المتعلق بالاحتفالات في مصر، ومناقشة الاختلافات أو أوجه التشابه بين الثقافات –ويقصد هنا مصر واليونان–، بما في ذلك الدين. ثم يضيف **Rutherford** (2016 **b**) أن مصر غالبًا ما أُعتُبِرت خزانا ومصدرا للحكمة، وخاصة المعرفة المقدسة أو الدينية؛ وحسب هيرودوت فإن معظم الديانة اليونانية مستمدة في النهاية من مصر، بما في ذلك أسماء الآلهة والمهرجانات، وحتى الطقوس الفيثاغورية والأورفيوسية **Orphic** و **Pythagorean**. (ص، 03)

وقد بدأت المرحلة الثانية من علاقة الثقافتين عندما استولت النخبة الناطقة باللغة اليونانية على مصر في العقد الأخير من القرن الرابع قبل الميلاد، ومنذ ذلك تعايشتا معًا، مما أدى حتمًا إلى تفاعل وتأثير متبادل بينهما، لدرجة أن بعض الأفراد كانت لديهم هويات يونانية مصرية؛ ولأول مرة حينئذ نجد ترجمة من المصرية إلى اليونانية، حيث تم إنتاج العديد من هذه النصوص ليقرأها متكلمو اليونانية المقيمون في مصر نفسها. (**Rutherford** 2016 **b**، ص4)

يدعم **Griffin** و **Boardman** و **Murray** (2001) أيضا أن الفلسفة اليونانية تأثرت لا محالة بالحكمة القديمة والأدب وعلم الكونيات في الشرق الأدنى القديم، في حين أن **Martin Litchfield West** (كما ورد في **Griffin** وآخرون 2007) يؤكد بشكل رائع على "أن الاتصال بالكوسمولوجيا واللاهوت في الحضارة الشرقية –المصرية القديمة– قد ساعد على تحرير مخيلة الفلاسفة الإغريق الأوائل، وأعطاهم بالتأكيد، العديد من الأفكار الموحية، لكنهم علموا أنفسهم التفكير، والفلسفة كما نفهمها هي خلق يوناني." (**Griffin** وآخرون: 2007، ص140)

أما **Flegel** (2018) فقد صرح بأن العديد من المؤرخين اليونانيين ما قبل الهلنستيين، مثل هيرودوت اعتبر أن مدينة مصر القديمة "هيليوبوليس، **Heliopolis**" هي المكان الذي تعلم فيه أكثر الفلاسفة اليونانيين البارزين مثل فيثاغورس وأفلاطون أُسُس الميتافيزيقيا الخاصة بهم وعلم الفلك أو الهندسة. ويرى **Riedweg** (**2005**) أن الأبحاث الحديثة كذلك توضح بشكل متزايد أن العديد من الفلاسفة اليونانيين تلقوا تعليمهم بشكل رئيسي في الشرق الأدنى، حيث نقل الإغريق من العصر القديم بالفعل حوافز ثقافية حاسمة دفعتهم إلى إنتاج فلسفاتهم، فعلى سبيل المثال يتتبع هيرودوت العديد من العادات اليونانية إلى الثقافة المصرية التي أكد أفلاطون على عراقتها في محاورته **Timaeus**. (ص 7). حيث كان يُعتقد على نطاق واسع أن العديد من الفلاسفة اليونانيين المشهورين قد درسوا في مصر وأن فلسفاتهم مشتقة في نهاية المطاف من "نظام الأساطير المصري" المفقود (**Lefkowitz**، **1998**).

إلى جانب المصادر القديمة وخاصة اليونانية يدعم **Flegel (2018)** أن الحضارة المصرية هي مهد الفلاسفة اليونان الأوائل بمصادر حديثة؛ أي بعد اكتشاف النصوص المصرية عبر الحجر الرشيد وفك رموز الكتابة الهيروغليفية في القرن التاسع عشر، وكان مهمًا للغاية في فهم تاريخ وثقافة مصر القديمة؛ يقول **Flegel (2018)** إن هذه النصوص وبشكل مدهش قد أدت إلى اكتشاف موضوعات مشابهة لبعض جوانب الفلسفة اليونانية الكلاسيكية مثل نظرية المثل ونظرية العناصر الأربعة والتنظيم العقلاني للكون.

أما جورج سارتون **Sarton** (1927) في كتابه "مقدمة في تاريخ العلم" فيرى أنه مع التميّز الفريد للحضارة الإغريقية في منجزاتها الفكرية والعملية إلا أنه يدرك أن ذلك لم يكن ذاتيا تمامًا، بل ثمارا لتطور طويل الأمد، له العديد من الآثار المثيرة للإعجاب في بلاد ما بين النهرين ومصر وبلاد بحر إيجه؛ ويبدو أن العصر الذهبي للعلوم المصرية قد حدث حوالي القرن العشرين إلى القرن الخامس عشر ق.م وعلى الرغم من تأثر الإغريق بالمصريين بطرق شتى، من الصعب أن نتكلم عن كيفية انتقال العلم المصري إلى اليونان بالدقة المطلوبة. (ص52)

نشر **Martin Bernal** (1987) دراسة مكثفة تؤكد على الجذور الأفريقية للحضارة اليونانية بعنوان "**أثينا السوداء**"؛ اعتمد فيها مزيجا من المصادر بين قديم وحديث، فيصف اهتمام هيرودوت (450 قبل الميلاد) بكيفية تأثير المستعمرات المصرية والفينيقية على الحضارة اليونانية من خلال إدخال الكتابة ونقل الأسرار الدينية وفن العرافة، حيث تم اقتباس أسماء العديد من الآلهة اليونانية من الصياغة المصرية التي كانت جميعها معروفة في مصر منذ بداية العصر؛ فمع تقديم سكان اليونان الأوائل القرابين أثناء الصلاة، إلا أنه لم يتم تسمية الآلهة، وبدأ اليونانيون في استخدام أسماء الآلهة المصرية فقط بعد أن حصل البيلاسجيون على الموافقة من وسيط الوحي الأقدم والوحيد في **Dodona**. (ص.ص.23،22، 75، 98)

ووفقًا لـ **Bernal** (1987)، أمضى أفلاطون وقتًا في مصر حوالي عام 390 قبل الميلاد، وفي كتابه ***Phaidros***، أعلن سقراط أن إله الحكمة المصري تحوت **Thoth** هو مخترع الحساب والهندسة والكتابة. وفي **Philebos** و **Epinomis**، وصف أفلاطون تحوت باعتباره مبتكر الكتابة واللغة وجميع العلوم. كما ذكر أرسطو أيضًا في ***Metaphisica*** أن مصر كانت مهد الرياضيات بسبب عمل طاقم الكهنة المصريين الذين كان لديهم وقت فراغ للانخراط في مثل هذه المساعي النظرية. ويعتقد العديد من العلماء أن الأفكار المصرية أثرت بقوة على كتابات أفلاطون وأرسطو حول الموضوعات الميتافيزيقية، وربما تبنى أفلاطون وجهة النظر المصرية عن خلود الروح والخلق وعقيدته عن الخير، وهناك أساس قوي أيضًا لفكرة أن أرسطو تبنى المفهوم المصري لـ "المحرك الذي لا يتحرك" المعبر عن العملية الإبداعية من الفوضى إلى النظام. **(Baudot, p.141, 142)**

وفي كتابه "مقدمة للفلسفة الأفريقية: الماضي والحاضر" **An Introduction to African Philosophy: Past and Present** يؤكد **Makumba** (2007) على دور إرث مصر القديمة في تقدم الفكر البشري وأساسا تأثيرها على الفلسفة اليونانية، وذكر أن تاريخ الفلسفة الأفريقية القديم يمكن اعتباره يمتد من 3000 إلى 300 ق.م، وهو ما يشير في معظمه إلى فترة مصر القديمة لأنها كانت المهيمنة، وتم الاعتراف بهذه الإمبراطورية من قبل العديد من الرواد اليونان الأوائل على أنها مهد الفلسفة مثل طاليس وأفلاطون وأرسطو وبروكلوس، واعتبروا مصر القديمة مرجعا وبداية للفلسفة. **(Makumba pp.48)**. ويؤكد القديس أوغسطينوس أيضًا بأنه كان لدى المصريين منذ الأزمنة الأولى منظومة معرفية للتعلم يمكن تسميتها بالحكمة المصرية، ورأى أن تعليم الإنسان كيفية تحقيق السعادة هي الوظيفة الأساسية للفلسفة، والتي ظهرت في مصر حتى وقت قريب من **Mercury** أو **Trismegistus**، أي قبل ظهور الحكماء والفلاسفة في اليونان بكثير **(Makumba p.49,50)**.

ويجادل **Flegel** (2018) مستنبطا بمقدمات تبدو أكثر منطقية فيقول: "عندما ينظر المرء إلى أوجه التشابه المفاهيمي هذا، بالموازاة مع خلفية العلاقات المصرية الهيلينية الوثيقة طوال فترة ما قبل سقراط، أي من القرن السابع قبل الميلاد فصاعدًا، فإن احتمال تلقي الفلسفة الغربية لبعض دوافعها الأولى من حضارة شمال شرق أفريقيا لا يبدو أبدا بالبعيد".

وعلى أية حال، على الرغم من أن هذا التأثير لا يُقصد به أبدًا أن يكون سرقة أو استعارة بمعناه الكامل، لأنه عادة ما يكون عملية ثنائية الاتجاه، لكن الواضح أنه لا محالة قد كان هناك اتصال بين الحضارتين، وإذا استمد الفلاسفة اليونان الأوائل أفكارهم من أي ثقافات أجنبية فإن ذلك أساسًا من حضارات الشرق الأدنى.

3. العناصر الأربعة بين مصر واليونان:

حسب **Rutherford** (2016)، يتفق العديد من العلماء حول وجود فكرة العناصر الأربعة التي يتكون منها العالم في تاريخ مصر كمفهوم، مثل عالم الآثار الكندي **Donald B. Redford** في كتابه "مدينة الرجل الكبش: قصة منديز القديمة" **City of the Ram-Man: The Story of Ancient Mendes** (2010) أين وضح كيف ركّب كهنة مدينة مينديز المصرية فكرة تحديد وتحريك الكون من قبل الكائن الأسمى بعد إظهار نفسه.

ويشرح **Flegel** (2018) هذه النقطة بمزيد من التفصيل حيث يقول: "استخدم حكماء منديس كبشًا غامض التصميم بأربعة رؤوس يدعى بانيبيدجيت لتوضيح... [فكرة العناصر الأربعة]. كل رأس يقابل إلهًا، والذي يمثل عنصرًا يمنح الحياة. حيث مثّل أوزوريس **Osiris** الماء؛ و ري **Re** رمزت للشمس أو النار؛ أما شو **Shu** فكان الهواء. بينما مثّل جيب **Geb** الأرض. وعندما اتحدوا شكّلوا الكائن الأسمى ممثلاً رمزياً

على أنه الكبش ذو الأربعة رؤوس، والذي يحتوي على العناصر الأربعة التي تشكل الكون وتحافظ على استمراريته."

ثم ينتهي **Flegel** (2018) جدليّا إلى أن المعرفة الفلسفية لما قبل سقراط تؤدي حتما إلى ملاحظة أوجه التشابه بين مفاهيم حكماء ميندز وما طوره الفيلسوف الإغريقي إمبيدوكليس **Empedocles** في القرن الخامس ق.م حول العناصر الأربعة كنظرية تم تقديمها إلى الفلسفة الغربية تحت تأثير المدرسة الفيثاغورية، ويضيف أن إمبيدوكليس بالمثل "ربط كل عنصر (أو "الجذر" كما أسماه) بإله منفصل: زيوس **Zeus** كان الهواء؛ هيرا **Hera** كانت الأرض. هايدس **Hades** كان النار أو الشمس، ونستيس **Nestis** الماء، كما وأكد على أنه عندما اتحدت العناصر الإلهية الأربعة، شكلوا كائنًا أسمى، سماه سفايروس "**Sphairos**"، واستخدم الفيلسوف صورتين مجازيتين – الحب والصراع – ليوضح كيفية اجتماع العناصر ثم انفصالها".

ويستنتج **Flegel** (2018) أنه ليس مستبعدا بتاتا تصوّر انتقال هذا الكبش رباعي الرأس إلى اليونان خلال حياة إيمبيدوكليس استنادًا إلى بعض الحقائق التاريخية الداعمة، فقبل حوالي قرن من ولادة إيمبيدوكليس بنى الفرعون أحمس الثاني معبدًا ل بانيبيدجيت في ماندس، أي توفر الأسباب التي أدت إلى وصول هذه المعرفة إلى إيمبيدوكليس، وخصوصا عندما نعلم أن أحمس بعد بسامتيك **Psamtik** وسع اتصالاته مع العديد من المدن اليونانية، سواء التجارة أو الدبلوماسية أو التحالفات، للحفاظ على حُكمه وجعل أعدائه تحت السيطرة. وعلاوة على ذلك فقد كان التأثير الرئيسي لإمبيدوكليس من طرف فيثاغورس الذي كان يشجع علاقاته مع بوليكرات **Polycrates** الطاغية حاكم ساموس (**Flegel**، 2018). وعليه فسواء تم أخذ هذه الأفكار مباشرة من مصر أو من خلال فيثاغورس، من الواضح جدًا أنها جديرة بالملاحظة عقلا.

أما عالم المصريات الفرنسي جان يويوت **Jean Yoyotte**، فقد عبر عن الوضع ببراعة في كتابه "التفكير ما قبل الفلسفي في مصر" **La pensée pré philosophique en Egypte (1969)** وخلص إلى أنه بالرغم من اختلاف اليونان عن المصريين في طريقة التعبير عن المفاهيم، فإن العديد من أفكارهم البارزة كانت متشابهة إلى حد بعيد، وانتهى إلى أن: " حكماء مصر قد أكدوا على العناصر الأربعة، وفكرة الوحدة الكامنة وراء الواحد والتعدد، وكذلك دور الذكاء والنظام الأزلي الإلهي في الكون، وقد كان كل ذلك قبل ولادة الفيلسوف اليوناني الأول بوقت طويل، وبالتالي، فقد أصبح من السهل تمامًا ادراك أن المفكرين الهيلينيين استوردوا الأفكار المصرية ثم قاموا بتعديلها لأغراضهم الخاصة (**Flegel** ، 2018).

ويرى **Sarton** (1927) أن "من المحتمل أن تكون [ملاحظات المصريين] قد انتقلت تدريجيًا لفترة طويلة، لكن على أية حال، ففي هذه الفترة بالذات انبثقت الفلسفة اليونانية أي "الفلسفة الطبيعية" في إيونيا أولا" (ص65). وحتى جغرافيا فقد كانت اليونان مرتبطة بمصر وفي ذلك يسرد **Sarton** بأن **Necho** ثاني ملك للأسرة المصرية الحاكمة السادسة والعشرون، حكم من 609 إلى 593 ق.م، مع نهاية عهده أمر بإعادة حفر القناة القديمة التي تربط الذراع الشرقي للنيل في الدلتا بالبحر الأحمر، لكن توقف هذا المشروع خوفًا من طغيان السيل على مصر لاعتقاد المهندسين أن مستوى البحر الأحمر كان أعلى من مستوى الدلتا، فأمر طاقم من البحارة الفينيقيين لينجزوا ذلك في غضون ثلاث سنوات (ص78).

ويمكن القول هنا، إذا كان اليونانيون قد جلبوا من مصر العديد من المعارف والعلوم مثل الهندسة وعلم الفلك والطب كما هو متفق عليه في تاريخ العلم، فهل هو بالبعيد جلب الأفكار الفلسفية؟ أو على الأقل التفكير الفلسفي؛ فهو على الأرجح أسهل من كثير من المعارف الأخرى.

4. طاليس Thales of Miletus (624 / 623–548 / 545 قبل الميلاد) في مصر

مثّلت إيونيا **Ionia** مهدا للفكر الفلسفي اليوناني الغربي، أين ينتمي طاليس وأناكسيماندر وأناكسيمينس؛ ونقطة التقاء بين الشرق والغرب؛ وكان ارتباط الفلسفة اليونانية وثيقًا بالرياضيات، وبما أن اليونانيين استمدوا رياضياتهم من مصر وعلم الفلك من بابل وعليه فإن الفلسفة اليونانية هي على الأرجح كجزء من المعرفة من مصر وبابل، بسبب التبادل الذي حدث بينهما؛ حتى وإن كانت الرياضيات المصرية أكثر عملية وليست مجردة بشكل ناضج مثل تلك التي طورها الإغريق في وقت لاحق (**Copleston**، 1993، ص ص13–15).

يروي **Sarton** (1927) أن طاليس أحد الحكماء السبعة ومؤسس العلم والفلسفة اليونانية ولد عام 624 ولا يزال يعيش في عام 548، وقد كان أيونيًا لكن ربما كان هناك بعض الدم الفينيقي في عروقه، سافر لسنوات عديدة إلى مصر، حيث أصبح على دراية بالرياضيات والفلك المصري، وعلى أساس المعرفة التجريبية المصرية أسس علم الهندسة المجرد. (ص72)

ومن خلال الحقائق التاريخية المتوفرة عن إيديموس تلميذ أرسطو كأول من كتب تاريخًا للرياضيات، بأن طاليس كان أول من أدخل الرياضيات وخاصة الهندسة إلى هيلاس **Hellas**، ومن المحتمل جدًا أنه تعلّم في مصر القواعد الأساسية لممارسة الهندسة من خلال القياس؛ وتجاوز معلميه لأنه ابتكر التقنيات الرياضية لقياس أبعاد الأهرامات. (**Burnet**، 1928)

ومن الشائع بين الفلاسفة ومؤرخي الفلسفة وحتى مؤرخي العلوم أن طاليس زار مصر في مرحلة ما من حياته، حيث تعلم وجلب علم الهندسة إلى الإغريق (**Silvio**، **2013**)، (**Shute** و **Shirk** و **Porter**، 1960)، (**Russell**، 1945). ووفقًا لملاحظة تاريخية عند **Russell** (1945)، فقد أثرت

مصر بلا شك على الإغريق، في حين أكد **Fletcher** (1982) ذلك أيضًا بالاستشهاد بقول **Proclus**: "كان طاليس أول من ذهب إلى مصر وعاد إلى اليونان بهذه الدراسة". (ص267)، والتي تعني الهندسة، ممثلة في ما استخدمه المصريون لأغراض عملية، لكن طاليس "هاجم بعض [النظريات] بشكل عام والبعض الآخر بشكل أكثر إدراكًا". (**Proclus**، في الكتاب الأول لعناصر إقليدس 65.3، **A11**). (في **Mckirahan**، 1998)

ويشير **Shute** وآخرون (1960) أيضًا إلى أنه خلال زيارته لمصر، لاحظ طاليس أنه في كل مرة يرسم المصريون خطين متقاطعين، ويقيسون الزوايا الرأسية للتأكد من أنها متساوية، فاستنتج طاليس نظريته في حساب المثلثات وعممها. (ص 25–27). انظر أيضًا (**Silvio**، **2013**، ص**33**).

واستنادًا إلى النصوص اليونانية القديمة، فإن فلسفة طاليس حول أن "الماء هو أصل الأشياء كلها"، وأن العالم يطفو على الماء، يبدو أنه قد تم اقتباسه من أساطير الخلق المصرية و / أو البابلية، وفقًا لأساطير الخلق هذه، فإن الأرض نشأت في وسط مياه البداية تحت سلطة إله واحد أو أكثر. وبالتالي فاستعارة طاليس لذلك وتصوره لم يكن كمبدأ مادي أرسطي، ولكن باعتباره أصلا نهائيًا لكل الأشياء، كما أن بعض العلماء لا يستبعدون هذا الرأي، لأنه حسب التقارير فإن طاليس قد زار مصر، في حين كانت ميليتوس على اتصال دبلوماسي وعسكري وتجاري مع مصر والشرق الأدنى. (**Mckirahan**: 1998)

ويشير **Russell** (1945) إلى أن "علوم وفلسفة طاليس كانا غير ناضجين أي خاما، لكن يكفيان لتحفيز الفكر والملاحظة" (ص 33)، مما أدى حسب **Mckirahan** (1998) إلى التفكير في تشابهها مع الفلسفات الأسطورية المصرية، ومع ذلك لا يمكن إنكار وصفه بالمبتكر العظيم، حتى لو كان الكثير من معارفه بسبب الآخرين وخاصة غير اليونانيين.

5. فيثاغورس Pythagoras (570 – 497 قبل الميلاد) في مصر

ولد فيثاغورس ابن منسارخوس **Mnesarchus** في جزيرة ساموس **Samos**. وتتفق العديد من المصادر على أنه خلال شبابه سافر بشكل واسع، ليس فقط في بلده اليونان ولكن أيضًا على ما يبدو إلى مصر وفينيقيا وبابل، أين يُعتقد في المصادر القديمة أنه تعلم وتلقى الكثير من تعليمه ومعرفته وحكمته الدينية، فالدراسات الحديثة أظهرت أن ثقافة اليونان القديمة قد تأثرت بشدة بثقافات الشرق الأدنى (**Riedweg**، 2005، ص .7). وبالنسبة لراسل (1945) فإنه لا يستبعد زيارة فيثاغورس لمصر، أين اكتسب الكثير من حكمته.

ويؤكد **Joost–Gaugier** (2006) أيضًا بأثر رجعي من المصادر اليونانية القديمة أن الخطيب الأثيني إيسقراط **Isocrates** (436–338 قبل الميلاد) كان أول من صور فيثاغورس بأنه زار مصر. وتم اعتبار تعلّم فيثاغورس المفترض في مصر بالفعل على أنها حقيقة. **Riedweg (2005، ص 59)**

وفي أحد أعماله الذي سُمّي **Busiris** تبعا لملك مصر الأسطوري، يعزو إيسقراط بعض نجاح فيثاغورس في جذب انتباه التلاميذ اليونانيين إلى رحلاته إلى مصر وجلب المعرفة الدينية إلى اليونان حيث يقول: "في زيارة لمصر، أصبح [فيثاغورس من ساموس] طالبًا... [هناك]... وكان [أول] من جلب الفلسفة إلى الإغريق بشكل أكثر وضوحًا من الآخرين، حيث أخذ طقوس التضحيات واحتفالات الخلاص على محمل الجدية، لأنه اعتقد أنه حتى لو كان يجب ألا يكسب بذلك أي مكافأة كبرى من الآلهة، فإنه على أية حال ستتعزز سمعته بشكل كبير بين بنيه، وهو ما حدث بالفعل، لأنه تجاوز إلى حد كبير سمعة الآخرين لدرجة أن جميع الشباب كانوا يرغبون في أن يكونوا برفقته بدلاً من الاهتمام بشؤونهم الخاصة" (**Joost–Gaugier، 2006**، ص 16)

حيث أن أعمال فيلسوف البلاغة إيسقراط كشاهد مفعمة بشكل موثوق بمعلومات جديدة، وتعليقاته تقدم أول شهادة حية حول زيارة فيثاغورس إلى مصر، كما أنه أول من أكد حصريًا أن فيثاغورس كان مدرسًا ذو سمعة ممتازة فلطالما كان محاطا بالكثير من التلاميذ والأتباع الراغبين الذين كانوا يمارسون "الصمت" كأحد تعاليمه. **(Ibid)**

ويشير **Huffman** (2006) إلى أن عقيدة التناسخ ربما تكون من اختراع فيثاغورس أو استحضرها من مصر – وفقًا لهيرودوت – أو الهند، لكنه أثر بشكل كبير على العالم اليوناني بمجرد تقديمه، خاصة في جنوب إيطاليا وصقلية أين عاش (ص 70). كما تُظهِر هذه المعرفة المستقاة من مصر حماسة فيثاغورس الواضحة للأشياء المتعلقة بالتضحية والقداسة في المعابد أكثر من الفلاسفة الآخرين، حيث أنه اختبر بلهفة وإخلاص جميع تعليماتهم وأنظمتهم، ما دفعه إلى اكتساب مثل هذا التقدير الكبير كونه الشخص الوحيد من خارج مصر الذي يمنح امتياز التضحية للآلهة المصرية والانضمام إلى طقوس العبادة. (أنظر أيضا **Riedweg: 2005، ص08**). ومع أن هيرودوت يرى أن الهندسة نشأت بين المصريين، لكن **Hermann** (1998) يدعي أن الاعتبار الأول للنشاط في الهندسة أتى من بابل، حيث وردت نظرية فيثاغورس في النصوص المسمارية حوالي 2600 قبل الميلاد مع التحقق التجريبي والتقريبي المتعلق بقياس الأراضي والمسح.

ويروي **Riedweg** (2005) بأنه خلال العصر الهلنستي، صرح الكاتب أنتيفون **Antiphon** في عمله المفقود "حول الرجال ذوي الاستحقاق الجليّ"، والذي يعتبر مصدرًا من قبل **Porphyry**، أن فيثاغورس تعلم التحدث باللغة المصرية من الفرعون **Amasis** الثاني نفسه، بينما كان يدرس مع الكهنة

المصريين في ديوسبوليس **Diospolis** (طيبة)، في حين أن اللاهوتي المسيحي كليمنت **Clement** في الإسكندرية (150–215م) يفيد أن فيثاغورس كان تلميذًا لسوش **Soches**، نبي مصري (ص7).

يجدر الإشارة أني قد ركزت في تعلم فيثاغورس لحكمته وهندسته، على المصادر والأقوال التي تؤكد أو تُحِيل إلى تأثير الحضارة المصرية القديمة على الفلسفة اليونانية بشكل عام وفيثاغورس خصيصا، نظرًا لوجود العديد من المصادر الأخرى التي تتضمن أمما أخرى يبدو أنها أثرت أيضا على فلسفة فيثاغورس كما يُقرّ ذلك **Riedweg** في كتابه "فيثاغورس: حياته وتعاليمه وتأثيره". (2005، ص8)

6. أفلاطون (427–347 قبل الميلاد) في مصر

مما لا شك فيه الآن، وحسب ما اطلعنا عليه من مصادر أنه يوجد على نطاق واسع في الأدبيات القديمة المتعلقة بتاريخ الفلسفة اليونانية لاسيما اليونانية ذاتها أن أفلاطون قد زار مصر وتعلّم فيها مثل العديد من الفلاسفة اليونانيين، حيث يخوض **McEvoy (1984)** بالتفصيل في أن الشاهد الأول ستاربو **Strabo** قد ربط يودوكسيس الفلكي **Eudoxus** بزيارة أفلاطون؛ كما عدّد قائمة طويلة من هيرودوت، و **Ctesias**، و **Cicero**، و **Diogenes Laertius**، و **Apuleius**، و **Ammianus Marcellinusa**، والقديس أوغسطين، كلهم ذكروا زيارة أفلاطون لمصر من أجل طلب الحكمة.

وبالرجوع إلى أعمال أفلاطون نفسه نجده يسهب في ذكر مصر بشكل مفصل في كتاباته مثل **Timaeus** والقوانين والجمهورية وبعض الأعمال الأخرى، حيث يمكن التأكد من معرفته المفصلة بمصر بشكل واضح، وكذلك بالحكمة المصرية التي جمعها ودمجها في تلك الأعمال (**McEvoy: (1984)** ص.1–2). وفي نفس الصدد يذكر **Rutherford** (2016 **b**) في مجلده المحرر المخصص لعلاقة الأدب اليوناني والترجمة والثقافة مع مصر القديمة، أن أفلاطون نفسه قد استخدم النموذج المحافظ المصري في كتابه القوانين أو النواميس. (ص ص.3،2).

في حين يؤكد **Roothaan** (2015) أيضًا أن المؤرخين اليونان القدماء أنفسهم يتحدثون عن كيفية سفر مفكري اليونان إلى مصر للتعلم في معابدها، ومن بينهم طاليس وفيثاغورس، الذين درسوا في معابد ممفيس وطيبة وهليوبوليس أين قضى أفلاطون نفسه، كأحد أكبر آباء الفلسفة الغربية حوالي ثلاثة عشر عامًا يدرس في هليوبوليس. ويقول بأن " تأثير أفلاطون الواسع على اللاهوت الإبراهيمي التوحيدي في العصور الوسطى ما هو في الحقيقة إلا تمرير لآراء اللاهوت المصرية القديمة." (**Roothaan**، 2015).

ووفقًا لـ **James** (1954) فإن أفلاطون يذكر في كتابه تيمايوس أن الطامحين اليونانيين إلى الحكمة زاروا مصر منذ البداية، حيث عادة ما كان يصفهم قساوسة سايس **Sais** بالأطفال في دور العبادة والتعليم لأنها مثلت أعظم مركز تعليمي في العالم القديم، ويؤكد هيرمودوروس رحلة أفلاطون إلى مصر في

سن الثامنة والعشرون عامًا، وزيارته لإقليدس في ميغارا **Megara** بصحبة تلاميذ آخرين لسقراط، وظل يتنقل باستمرار من وإلى مصر ليتلقى توجيهات القساوسة المصريين (ص.ص26،27). (انظر أيضًا **Anakwue**، **2017**).

يذكر **Pappas** (1995) اعتراف أفلاطون بالأصول غير اليونانية للعديد من الكلمات اليونانية وذلك في محاورة كراتيليس **Cratylus**، ثم ثناءه وتقديره واحترامه لمصر في محاورته القوانين و**Timaeus**، أين يظهر إعجاب أفلاطون بالمجتمع والثقافة المصرية حيث يخبر كريتياس عن حوار بين سولون **Solon** مع الكهنة المصريين، حول أصل أثينا وعلاقتها بمدينة سايس المصرية، فيقول سولون: "في دلتا مصر، حيث يقسمها في رأسها مجرى نهر النيل إلى قسمين، هناك منطقة معينة تسمى الساقية ***Saitic***، أما المدينة الرئيسية في هذه المنطقة هي سايس، موطن الملك أماسيس ***Amasis*** ، ومؤسسها كما يقولون هي إلهة اسمها المصري نيث ***Neith***، وباليونانية كما يؤكدون هو أثينا. هؤلاء الناس يصرحون بأنهم عشاق عظيمون لأثينا وبقدر ما هم قريبون من شعبنا هنا" **Martínez** (2013). وفي محاورة القوانين، يقر الأثيني في حواره مع كليناس بأن المصري قد أدرك منذ زمن طويل المبادئ التي كان اليونانيون قد بدؤوا في طرحها، مثل مبدأ أهمية الفضيلة في تعليم الأطفال، وعليه فقد تأثروا بالمصريين في تطوير فلسفتهم الخاصة في التعليم؛ وتُظهِر الجمهورية أيضًا هذا. **(Makumba pp.48, 49)**

وننتقل إلى مصادر أخرى في وقت مبكر من القرن الثالث أين يلاحظ **Tertullian** ترتليان كيف اتبع أفلاطون تعاليم **Mercury** المصري [هيرميس] عن كثب، كما يشهد أسقف **Hippo** بإظهار أفلاطون في مصر مدفوعًا بالرغبة في المزيد من المعرفة القيّمة، حيث أتقن التقاليد التي كانت محترمة ومفيدة لتفكيره الخاص، وأثرت في بناء نظامه الفلسفي فيما بعد (**Makumba**، ص 49،50).

ووفقًا لـ **Guthrie** (**1975**) فقد ذهب أفلاطون إلى **Cyrene** لرؤية **Theodorus** عالم الرياضيات، ومن ثم إلى إيطاليا إلى **Philolaus** الفيثاغوري و**Eurytus**، ومن ثم إلى مصر، لكن **Guthrie** يذكر أن **Diogenes** رتب محطات سفر أفلاطون من **Cyrene** وإيطاليا ثم مصر، ولكن **Cicero** لم يذكر **Cyrene**، لذلك ذكر أنه زار مصر مرتين؛ لكن شهادة **Strabo** تبدو أكثر وضوحًا حول رحلة أفلاطون إلى هيليوبوليس في مصر، واصفا الأماكن أين اعتاد أفلاطون وتلميذه **Eudoxus of Cnidus** البقاء (ص 15)، حتى أنه مرّ على المعبد العظيم لمدينة الشمس (**Schofield**، 1998).

ويؤكد **Novotny** (1975) على جميع المصادر المذكورة أعلاه حول إقامة أفلاطون في مصر؛ ثم يذكر كلام **Plutrach** عن توفير أفلاطون للمال من تجارة الزيت للسفر إلى مصر، ويشير في حاشية كتابه "حياة أفلاطون بعد وفاته" إلى رسالة مجهولة المرسل بعنوان "إلى أفلاطون في مصر"، وبالضبط في منطقة سايس الآن من أجل الكتابة عن ما هو جدير بالذكر خلال مقابلته لحكمائها (ص 227).

وفي ذات السياق يقول **Sharpe** (1982): "جاء **Eudoxus** الفلكي، و**Chrysippus** الطبيب، و **Plato** الفيلسوف الأثيني الأكثر شهرة إلى مصر، ووجدوا أنه من الضروري إحضار معهم رسائل ودية من **Agesilaus** ملك سبارتا إلى **Nectanebo** والكهنة، فأحضر أفلاطون معه شحنة زيت بدلاً من المال لدفع تكاليف رحلته؛ لا يمكن أن يكون لدينا دليل أكبر على احترام المدارس المصرية من هؤلاء الرجال، كل منهم على رأس فرع العلوم الخاص به، كان يجب أن يأتي إلى مصر لإنهاء دراسته؛ هنا قضى **Eudoxus** ستة عشر شهرًا، يدرس على أيدي الكهنة... هنا ربما تعلم **Chrysippus** التشريح عن طريق تشريح جسم الإنسان، الذي منعته الأعراف اليونانية من دراسته عند العودة".

يرى **Copleston** أن أفلاطون لا يقول شيئًا عن أي زيارة لمصر، وعلى الرغم من ذلك، لا يمكننا أن نقول على وجه اليقين أن أفلاطون لم يقم بذلك، ولكن قد تكون معرفته بالرياضيات المصرية تشير إلى رحلة فعلية إلى مصر، وإذا كان قد ذهب بالفعل إلى مصر فقد يكون قد ذهب حوالي 395 وعاد إلى أثينا عند اندلاع الحروب الكورنثية (**Copleston**، 1993، ص 129).

6. 1. نظرية المثل الأفلاطونية في مصر

حتى أفلاطون، حسب **Flegel (2018)**، في طرحه لنظرية المثل قد أظهر شذرات واضحة لبعض الأفكار التي تتعلق بتحوت **Thoth**، ممّا يؤكد حتى بين الإغريق أنفسهم بأن فلسفته كانت مصرية بعمق. ويناقش **Flegel** (2018) ذلك بأدلة وبحوث أكاديمية، بين ما هو لساني أنثروبولوجي وما هو أركيولوجي خاص بالمصريات؛ لكن قبل ذلك يتكلم عن نظرية الخلق **creationism** وبدا ذلك تأسيسا منطقيا لنظرية المثل، أين يشابه الفكر اليوناني المبكر الفكر المصري في فكرة أن الكون عقلاني، ومرتّب وفقًا للمبادئ الفكرية أو المنطقية، حيث شرع الكهنوت في أعقاب وفاة إخناتون بالعبث بفكرة الذكاء الإلهي واللفظ أو كلمة الأمر الإلهي، التي كانت تعتبر في الدين المصري القديم مع "الخلود" قوى أساسية في خلق واستمرار الكون. ففي البداية تمّ تصوُّر الآلهة فقط على أنها ثمرة التفكير السليم الدقيق، ولكن سرعان ما تمّ تفسير الخلق برمته على أنه نتاج عقل إلهي؛ أطلق عليه المصريون اسم "القلب" وكلمة الأمر أطلقوا عليها "اللسان" وعُدّتا على أنهما من الصفات الإلهية لكل ملك، وتجسد ذلك في إله الخلق **Ptah** في النص المعروف باسم "لاهوت ميمفيت **Memphite**" في مدينة ميمفيس أين كان **Ptah** هو الإله. وهو ما مثّل التعبير الأكثر تطورا لنظرية الخلق في العالم ما قبل الهيليني حسب **Flegel** (2018)، وقد ترجمه لأول مرة عالم المصريات الأمريكي **James Henry Breasted**، الذي رفض بداية تأثير الفكر المصري على الفلسفة اليونانية، لكنه اتخذ رأيا مخالفا تماما عندما اكتشف نص اللاهوت في غرفة تخزين مظلمة في المتحف البريطاني، وسمح التحليل الدقيق للنص أن يرى أن مؤلفيه افترضوا مبدأ فكريًا كسبب أول للخلق، لم يقتصر

الأمر على وضع مؤلفي النص **Ptah** على أنه الإله الأعلى بل أشاروا إليه أيضًا على أنه "قلب" ليعبر عن الذكاء والقول أو الفكرة والكلمة في كل الآلهة والبشر.

ويواصل **Flegel** (2018) بأن الإبداع في هذا النص الديني المصري لم يتوقف هنا بل كان أعمق، فما أظهره عالم المصريات الأمريكي **J. P. Allen**، جنبًا إلى جنب مع **Jan Assmann** من خلال أعمالهما " نظرية الخلق من خلال الهيروغليفية: علم النحو الكوني في مصر القديمة" (2007)، و "سفر التكوين في مصر: فلسفة نظريات الخلق المصرية القديمة" (1998)، حول كيفية تمييز اللاهوتيين المصريين بين الأشياء والكلمات الخالدة (الإلهية)، للإشارة إلى عملية الخلق عندما حوّل **Ptah** المادة الأولى إلى الكون متبعا مجموعة محددة من الأشكال أو المثل، ورأوا المكونات المتنوعة للكون كنسخ من المفاهيم (المثل) الأصلية، واعتقد الكتاب المصريون عموما أن الهيروغليفية تجسد المفاهيم بصريًا.

ثم يقول **Flegel** (2018) أن هذا الطرح يُحيله مباشرة إلى **Patrick Boylan** والأخصائي في الفنّ المصري **Whitney M. Davies** في عشرينات القرن الماضي، حيث أظهر بويلان كيف استخدم المصريون عبارة "الكلمات الخالدة أو الإلهية" للإشارة إلى مفاهيم الأشياء بدلاً من الأشياء نفسها في كتابه "تحوت هيرميس مصر: بعض جوانب الفكر اللاهوتي في مصر القديمة" (1922). أما في السبعينيات فقد أثارت الأفلاطونية المتأصلة دهشة **Davies** حين قارنها بما اعتبره الميتافيزيقيا المصرية، جادل بجدية في مقاله "آراء أفلاطون حول الفن المصري" كيف انعكست هذه الميتافيزيقيا التي ترى أن العالم يتكون من نسخ من الكلمات الإلهية، حين اتبع الفنانون نسبا رياضية وقوائم لأمثلة أو أنواع قياسية لتصوير الواقع، وعليه فقد ذهب **Davies** لدرجة التصريح بوجود روابط "بعيدة المدى" و "عميقة" بين الفكر المصري ونظرية المثل لأفلاطون.

وعند بحث هذه الموضوعات في محاورات أفلاطون نجده حقا لا يلبث إلا ويذكر على لسان سقراط أو أحد من محاوريه الثقافة المصرية، وجغرافيا مصر، والدين المصري ويتحدث عن الآلهة بالتفصيل، مما يبعث على الأخذ بهذا الموقف بجدية وإلى أبعد الحدود، فمهما يكن فهو ذو دعائم، ومادام لم يثبت عكسه فالاحتمال قائم والسعي فيه مطلوب لتقصي الحقيقة. فكل محاورات أفلاطون الوسطى والأخيرة مليئة بمواضيع حول الخلق والكون على أساس أنه نسخة طبق الأصل من سلسلة من المثل الأصلية، في محاورة تيمايوس على سبيل المثال يسرد كيف استخدم الصانع الكوني المثل كنموذج لتصميم الكون من الفوضى، وخلال هذه المحاورة والسابقة يتم وصف **Demiurge** كما يطلق عليه الصانع بأنه "العقل" الذي يأمر الكون وفقًا للمبادئ الرياضية. **Flegel** (2018)

ولعل الأكثر إثارة للدهشة هو أن أفلاطون يمنح الإله المصري **Thoth** فقرات من الوصف الدقيق في اثنين من محاوراته من أجل شرح دور الإله في التوسط بين المثل الخالدة الإلهية والنص المكتوب، فمن

خلال لسان آمون المسمى ثاموس **Thamus** في محاورة فيدروس **Phaedrus** يعاتب أفلاطون **Thoth** لجعله الكلمة المكتوبة كبديل للمثل الأصلية، ولما يُظهر أفلاطون فهمًا غير معتاد لبعض الأفكار المرتبطة بتحوت ويقدم عروضا فائقة التفصيل، يحيل هذا مباشرة العقل إلى دعاوى الإغريق أنفسهم بأن فلسفة أفلاطون هي في الأساس مصرية (**Flegel**، 2018).

في حين لا يعتبر آخرون أن الفكرة تتطلب هذا الجدل الواسع، لأن أفلاطون كتب خلال أيام التعاون الدبلوماسي والعسكري المكثف بين أثينا ومصر ضد العدوان العسكري الفارسي، كما لمح في محاورته القوانين إلى الإعجاب العميق الذي يكنه الأثينيون إلى مصر (**Flegel** 2018). أنظر أيضا (**Susan Stephens** "جمهورية أفلاطون المصرية" **Plato's Egyptian Republic**، 2016).

7. الفترة الهلنستية

تضم الفترة الهلنستية أو ما بعد الأرسطية العديد من مدارس الفكر المختلفة التي تطورت في العالم الهلنستي (والتي تستخدم عادة لتعني انتشار الثقافة اليونانية إلى الأراضي غير اليونانية التي غزاها الإسكندر الأكبر في القرن الرابع قبل الميلاد)، وعادة ما يُعتقد أنه يبدأ بوفاة الإسكندر الأكبر عام 323 قبل الميلاد، وأرسطو عام 322 قبل الميلاد. ومن وجهة نظر الثقافة الهلنستية، فإن أكبر إنجاز آنذاك هو مدينة الإسكندرية، لأن مصر كانت أقل عرضة للحرب من الأجزاء الأوروبية والآسيوية التي كانت ضمن العالم المقدوني، فازدهرت الإسكندرية تجاريا، وكان البطالمة رعاة للتعلم، جذبوا إليها أفضل الرجال في ذلك العصر، فالرياضيات مثلا أصبحت في ذلك العهد وبقيت إسكندرية بدرجة أولى حتى سقوط روما، وفي هذا العهد ظهر كل من اقليدس وأرخميدس (**Russell**، 1945، ص 223). ومثّلت الإسكندرية حينها مركزًا للإمبراطورية الهلنستية ومركزًا للمعرفة، حيث توافد علماء اليونان والأباطرة الرومان والقادة اليهود وآباء الكنيسة المسيحية وعلماء الرياضيات والفلاسفة والعلماء والشعراء إليها، وكان من مناطق الجذب الرئيسية متحف ومكتبة الإسكندرية التي قيل أنها في القرن الثالث قبل الميلاد تحتوي على 500000 مجلد، وكان المتحف مركزًا للبحوث بمختبرات ومراصد، ضمّ علماء مثل إقليدس وإراتوستينس، كما كانت الإسكندرية أيضًا مركزًا لدراسات الكتاب المقدس (**Mason**، 2019).

إن الميول إلى اشتقاق جوانب مهمة في الثقافة اليونانية من الحكمة القديمة لـ "البرابرة" في الشرق أصبح أقوى في الفترة الهلنستية، عندما فتح الاسكندر الأكبر عوالم جغرافية جديدة بالكامل أمام الإغريق، وعلى الأقل منذ ذلك الوقت، أصبح شائعا في السير الذاتية الفكرية أنه لإظهار الصفات المميزة للمفكر يكون من خلال رحلاته إلى الشرق، بحيث تمّ التركيز على السفر إلى مصر في هذا السياق بشكل خاص (**Riedweg**، 2005، ص.08).

وشهدت الفترة الهلنستية أيضًا إنتاجا تاريخيا أكثر دقة لمصر باللغة اليونانية، وظلت مصر ثنائية الثقافة بشكل أساسي تحت السيطرة الرومانية، كما تطورت العديد من المدارس الفكرية المختلفة في ذلك العالم الهلنستي والعالم اليوناني الروماني، بحيث ساهم اليونانيون والرومان والمصريون والعرب في تطوير تلك الفلسفة الهلنستية، إضافة إلى عناصر من الفلسفة الفارسية والفلسفة الهندية (**Rutherford**، 2016 **b**، ص 4). وكان هؤلاء الفراعنة اليونانيين يتواصلون بالإغريقية وأصبحت الدولة نفسها ثنائية اللغة وثنائية الثقافة بشكل متزايد، واستمرت حتى العصر الروماني. وشكلت شعبية الدين المصري رمزا حيويا لهذه الثقافة المصرية اليونانية الجديدة، وخاصة الإلهة إيزيس، التي أصبحت تُعبد في جميع أنحاء البحر الأبيض المتوسط بحلول القرن الأول قبل الميلاد. (**Rutherford** ، 2016 **b**).

أما **Sarton** (1962) فيرى أن هذه الفترة تختلف كثيرا عن سابقتها، فبعد أن كانت أثينا هي عاصمة الفكر في القرن الرابع قبل الميلاد انتقل كل ذلك إلى الإسكندرية مع القرن الثالث قبل الميلاد، لكن ازدهارها بهذا الشكل يثير الدهشة، لأنها تأسست فقط سنة 332 ق.م مع قدوم البطالمة ويستحيل أن تنطلق على الفور، وبالتالي لن تكون قبل ذلك التاريخ –اللهم إلا إذا كان الازدهار العلمي والحضاري سابقا في تلك الرقعة الجغرافية، وذلك ليس ببعيد– والغريب أكثر أننا لا نعرف التواريخ الدقيقة لثلاثة من الرجال العظماء في هذه الفترة؛ إقليدس، هيروفيلوس، ومانيثون، نعرف فقط أنهم في عهد بطليموس الأول الذي حكم مصر من 323 إلى 285 ق.م. وأن نصوصهم من النمط الإسكندري الهيليني وليس اليوناني الكلاسيكي مثل الأرسطي (ص149).

8. خاتمة

يقول **E. Ross** أن هيجل هو أول من كتب في محاضراته في فلسفة التاريخ فكرة أن الشعوب الأفريقية لا تعرف حضارة حقيقية، وأن "[إفريقيا] ليست جزءًا تاريخيًا من العالم؛ فهي لا تملك أي حركة أو تطور لتعرضه"، وأن المصريين القدماء لا ينتمون إلى إفريقيا بل إلى "العالم الآسيوي أو الأوروبي؛ لأن هناك دوافع سياسية لكذبته الواضحة، سواء بوعي أو بغير وعي، محاولا تبرير استعباد الأفارقة كوسيلة لنقلهم إلى الوعي التاريخي (**Roothaan** 2015). وكتب هيوم في حاشية مقالته الشهيرة " **On National Character**": "أنا على استعداد للقول بأن الزنوج هم بطبيعة الحال أقل شأنا من البيض. بالكاد كانت هناك أمة متحضرة لتلك البشرة، ولا حتى أي فرد بارز عمليا أو في التأمل والتفكير، ولا يوجد صانع عبقري بينهم، ولا فنون ولا علوم ". وقد كررت شخصيات أخرى –بما في ذلك إيمانويل كانط– مثل هذه الصيغ من التحيز.

كل هذه الخرافات والأحكام المسبقة والتجاهل المتعمد والتعصب اللئيم لا يمكن أن يدفن حقيقة ما أهدته شعوب إفريقيا للحضارة الغربية قبل ولادتها؛ الهدايا التي تم نقلها عبر مصر إلى اليونانيين؛ فهناك

أدلة أثرية متزايدة ودعم علمي للاقتراح القائل بأن الحضارة العريقة لمصر الفرعونية كانت متجذرة في إفريقيا السوداء، والمساهمة الفكرية لمصر في الفكر اليوناني لا يمكن نكرانها أبدًا (**Baudot**، ص 140،139).

إن ما يتم تناوله من مادة علمية في مسارات التكوين لاسيما تلك التي تختص بالتدرج في تخصصات الفلسفة حول موضوع التأريخ للفلسفة اليونانية على أنها المصدر الأول للتفكير الفلسفي، والأكثر من ذلك التأكيد على حصر الفلسفة في اليونان القديمة، لهو من بين أكثر الإجحافات في حق الفلسفات الشرقية القديمة، خصوصا عند التسليم بهذا التقليد التاريخي المتوارث دون أدنى اهتمام بالتحقيق حول الموضوع، والسعي على الأقل إلى الاطلاع على ما يوجد من مواقف لها رأي آخر تماما. فكما رأينا؛ أن تاريخ الفكر الفلسفي يمتد إلى الحضارة المصرية القديمة، لاسيما تلك الأفكار الأولى حول أصل الكون والخلق ونظرية المثل، ويعتد دعاة هذا الطرح بحجج ذات أبعاد عدة، تمثلت في التاريخية اليونانية المتوفرة التي تؤكد بنفسها على شغف الفلاسفة اليونان الأوائل بمصر القديمة ومعارفها، بل وزيارتها والمكوث فيها لنهل علومها وحكمتها كما كانوا يسمونها. وثم أدلة لغوية لاسيما بعد اكتشاف الحجر الرشيد، وأنثروبولوجية كما جاء في "أثينا السوداء" لـ Bernal. إذا فالملاحظ هنا أن هذا الموضوع لا يكاد يذكر أو يناقش على مستوى البحث الأكاديمي العربي، بل حتى تدارس ما جاء به الموقف الغربي المناهض للموقف الأول، ولا يكاد يلقى اهتماما من منطلق الاطلاع فقط. ولذلك كان هدف المقال تسليط الضوء على الأقل على أهمية الموضوع وإبراز الحاجة إلى تدارس وتحقيق هذا الموقف، وتقديمه ضمن المحتوى الأكاديمي لدارسي الفلسفة بالأهمية المطلوبة.

إن دعوى الأصول المصرية للفلسفة الإغريقية له من الأدلة ما يكفي لتوجيه البحث والتحقيق حوله، والذي يبرر ذلك أكثر إنما هو الموقف الغربي المتعصب المعادي لإمكانية قيام أي تفكير فلسفي أو حضاري في تلك الشعوب والأمم خارج ذوي البشرة البيضاء، وبالتالي إن هذا الاتجاه يؤكد تعمد عملية طمس تاريخي لأي محاولة للتحقيق في تاريخ الفلسفة والتأصيل للفكر الفلسفي كي يبقى حكرا على الحضارة اليونانية، على أننا لا ننكر تميزها في ذلك وسبقها في الكثير من النقاط ولكن ليس على الوجه الذي يقصي كل الحضارات السابقة.

9. قائمة المراجع

1. Anakwue, Nicholas Chukwudike. (2017). “The African Origins of Greek Philosophy: Ancient Egypt in Retrospect”. **Phronimon**. Unisa Press. Volume 18. pp. 167-180.
2. Baudot, Barbara Sundberg. (2002). **Candles in the Dark: A New Spirit for a Plural World**. University of Washington Press.

3. Bernal, Martin. (1987). Black Athena, The Afroasiatic Roots of Classical Civilization VOLUME I The Fabrication of Ancient Greece 1785- 1985. New Brunswick, New Jersey: Rutgers University Press.
4. Burnet, J. (1928). **Greek Philosophy: Part I Thales to Plato**. London: Macmillan.
5. Copleston, F. (1993). **A history of philosophy**. Vol. 1. New York: Image Doubleday.
6. Davis, W. M. (1979). "Plato on Egyptian Art". **The Journal of Egyptian Archaeology**, 65(1), 121–127.
7. Flegel, Peter. "Does Western Philosophy Have Egyptian Roots?". **Philosophy Now**. Issue 128. [https://philosophynow.org/issues/128/Does_Western_Philosophy_Have_Egyptian_Roots]. (consulted October 6, 2023).
8. Fletcher, Colin R. (1982). "Thales—our founder?". **The Mathematical Gazette**. 66 (438): 267.
9. **Greek masters studied with Egyptian teachers**, (2013). [http://en.antiquitatem.com/classical-culture-egypt-plato-herodotus].
10.Griffin, Jasper; Boardman, John; Murray, Oswyn. (2001). **The Oxford history of Greece and the Hellenistic world**. Oxford: Oxford University Press.
11.Guthrie, W. K. Chambers. (1975). A History of Greek Philosophy: Volume 4, Plato: The Man and His Dialogues: Earlier Period, Vol IV, Cambridge: Cambridge University Press.
12.Huffman, Carl A. (2006). **The Pythagorean tradition**.
13.James, G.G.M. (1954). **Stolen Legacy**, New York: Philosophical Library
14.Joost-Gaugier, Christiane L. (2006). **Measuring Heaven: Pythagoras and his Influence on Thought and Art in Antiquity and the Middle Ages**. New York: Cornell University Press.
15.Lefkowitz, R. (Egyptian philosophy: influence on ancient Greek thought). (1998). Routledge encyclopedia of philosophy. London: Routledge.
16.Long, A. A. (2006). **The scope of early Greek philosophy; Cambridge Companion to early Greek philosophy**. Cambridge University Press.
17.Lucio Russo, Silvio (translator) Levy (2013). **The Forgotten Revolution: How Science Was Born in 300 BC and Why it Had to Be Reborn**.
18.Makumba, Maurice Muhatia. (2007). **An Introduction to African Philosophy: Past and Present**, Kenya: Paulines Publications Africa.
19.Antonio Marco Martínez. (2013). Greek masters studied with Egyptian teachers [http://en.antiquitatem.com/classical-culture-egypt-plato-herodotus]. 7/10/2023.
20.Mason, K. (2019). **Alexandria and the Hellenistic World**. [http://www.moyak.com/papers/ancient-alexandria.html].
21.Mckirahan, R. (Thales). (1998). Routledge encyclopedia of philosophy. London: Routledge.
22.Novotny, Frantisek. (1977). **The Posthumous Life of Plato**, The Netherlands: Nijhoff Marinus.
23.Pappas, Nicholas. (1995). **Routledge Philosophy Guide Book to Plato and the Republic**. London: Routledge.
24.Riedweg, Christoph. (2005). **Pythagoras: His Life, Teachings, and Influence**. New York: Cornell University Press.

25.Roothaan, Angela. (2015). **Plato Studied in Africa: The Case for Culturally Inclusive Philosophy**. Hippo Reads.
26.Rutherford, Ian (2016 a). **Ancient Greek and Egyptian interactions**, [https://blog.oup.com/2016/04/greek-egyptian-interactions-literature/].
27. Rutherford, Ian. (2016 b). **Greco-Egyptian Interactions Literature, Translation, and Culture, 500 BCE–300 CE**, Oxford University Press.
28.Sarton, G. (1962). **Introduction To The History Of Science**. Baltimore: Williams & Wilkins.
29.Schibli, Hermann S. Pythagoras (1998). Routledge encyclopedia of philosophy. London: Routledge.
30.Sharpe, Samuel. (1982). 3ed. **The History of Egypt: From the Earliest Times Till the Conquest by the Arabs A.D. 640**, Volume 1, London.
31.Shute, William George; Shirk, William W; Porter, George F. (1960). **Plane and Solid Geometry**. American Book Company.
32.Stephens, Susan. (2016). 'Plato's Egyptian Republic', in Greco-Egyptian Interactions: Literature, Translation, and Culture, 500 BC–AD 300, edited by Ian Rutherford. Oxford: Oxford University Press. pp.41-60.